منهج التربية القرآني

القائم على خدمة الجماعة والمجتمع

obeikandl.com

obeikandl.com

جعل القرآن اهتمامه الأول بالإنسان الفرد وبتكوينه وحرص على تهذيبه إيماناً منه بأن الفرد هو اللبنة الأولى والأساس الذي تنبني عليه المجتمعات.

ولا يظن ظان أنه – القرآن – قصر اهتمامه بالفرد ولم يعن بالجماعة.. كلا فالجماعة في اهتماماته أليس الفرد جزءاً من الجماعة ؟ وما الجماعة إلا مجموعة أفراد إن صلحوا صلح شأن المجتمع.

والمتأمل منهج القرآن وحرصه على الجماعة يجد عجباً ويجد ما يدعو للدهشة والتساؤل.

يبرز هذا الاهتمام في كل جوانب الحياة : السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعلاقات الجوار مع الآمم الأخرى، لأنه دين السلام، والأمان والحياةالتي تسودها المحبة ويظل أبعادها الوئام، فإذا نظرت إلى جوانب اهتمامات المنهج القرآني بالجماعة تجده مثلاً في :

١- الناحية السياسية :

فقد نظم الحياة في منظومة الجماعة، ودعا إلى ما يؤدي إلى انتظامها وحسن سيرها وقنن العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

- دعا إلى طاعة أولى الأمر فقال تعالى :

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة:٩٢]

وقال عز من قائل :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ....﴾ [النساء:٥٩]

- الرجوع إلى الله وما أنزل من عنده وإلى الرسول وما أمر به عندما تظهر أمام المجتمع مشكلة من المشاكل أو أمر من الأمور - يقول تعالى-:-

﴿....فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩]

- إرساء الشورى كمبدأ تقوم عليه الحياة .

-يقول تعالى- :-

﴿....وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ....﴾ [الشورى:٣٨]

وقد أثر عن النبي- ﷺ -أنه كان يشاور أصحابه في كل ما يهم أمر الجماعة الإسلامية وفي الأمور المصيرية التي تتوقف عليها حياتهم عملاً -بقوله تعالى-:-

﴿....وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ....﴾ [آل عمران:١٥٩]

فقد شاور أصحابه في غزوة بدر ، كما شاورهم في غزوة الخندق .

الحكم بالعدل بين الناس ، وأمر الناس العمل به ،- قال تعالى-:-

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة:٨]

كما أثبت - عليه الصلاة والسلام- هذا المعنى في حديثه الشريف : " الأئمة من قريش ، ولي عليكم حق عظيم ، ولهم ذلك ما فعلوا ثلاثاً : إذا استرحموا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أدجمعين "(١)

وقد أكد أبو بكر الصديق مبدأ الشورى من أول يوم ولي فيه الحكم ، حين قال في أول خطبته له إلى المسلمين :

" لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، وأطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم " وكذلك كانت سيرة عمر لم يحد عن الطريق بل التزم الحق المطلق ، يساوى بين

١- الطبراني من حديث أنس .

القوى والضعيف في إقرار الحق وأخبر بذلك في قوله : " القوى فيكم ضعيف عندى والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له " .

- محاسبة الحاكم لنفسه ، وقد كان عمر أكثر الخلفاء محاسبة لنفسه ، وكان يأخذ أهله بالشدة ، فإذا أراد أن يصدر أمراً يجمعهم ويبلغهم أنه سيصدر أمراً بكذا وأنهم أول من يطبق عليهم هذا الأمر.
- العناية بأمر القضاء ، وتنزيه القاضي ووضعه في مكانه لائقة تعطيه الحق في محاسبة الناس جميعاً حتى الحاكم نفسه ودليل ذلك هذه الوقعة :" وجد على بن أبي طالب درعه عند رجل نصراني ، فجاء به إلى شريح القاضى ، وقال : إنها درعي ، ولم أبع ، ولم أهب ، فسأل شريح النصراني : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ قال النصراني : ما الدرع إلا درعي ، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب ، فالتفت شريح إلى علي يسأله : يا أمير المؤمنين : هل من بينة ؟ . . فضحك علي وقال : أصاب شريح مالي من بينة .

فقضى شريح للنصراني بالدرع فأخذها ومشي إلا أنه لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء ، أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضي عليه ! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . الدرع درعك يا أمير المؤمنين ، اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين فخرجت من بعيرك الأورق . فقال على : أما إذا أسلمت فهي لك "[1]

- وقد حدد المنهج القرآني عقوبة من يخالف الله ورسوله ويعيث في الأرض فساداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ

١- السلام العالمي والإسلام . سيد قطب .

﴿... يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣]

وفي ظل المنهج التربوي القرآني سادت الديمقراطية ، وحرية الرأي ما دام في مصلحة الجماعة ، وقد روت كتب السيرة ومصادر التاريخ مراجعة الناس لأولي الأمر حتى النساء كن يراجعن الخلفاء روت المصادر أن أمرآة راجعت عمر بن الخطاب في رأيه ، فلما وجده صواباً اقتنع وقال قولته المشهورة " أصابت امرأة وأخطأ عمر ".

٢- الناحية الاجتماعية :-

كما نظم القرآن حياة الجماعة السياسية أو وضع لها الدستور الذي ينبغي أن تسير عليه ، فقد نظم – أيضاً – أحوال معيشتها وحياتها الاجتماعية ، وقنن بالعلاقات معيشتها وحياتها الاجتماعية ، وقنن العلاقات بين طوائف الناس المختلفة ، وبين فئات المجتمع ، ووضع الأخر المناسب للتفاعل والتعامل بينهم فقام بما يلي :

- دعا إلى التعاون بين الناس جميعا في كل مناحي الحياة بما فيه صالح الجماعة ، إيماناً منه بأهمية التعاون في أداء العمل ، - قال تعالى- :

﴿....وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ ....﴾ [المائدة:٢]

- دعا إلى الإحسان للوالدين :-قال تعالى-:-

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء:٢٣:٢٤]

- رعاية ذي القربى والإحسان إليهما ، : -قال تعالى- :-

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء:٢٦]

- حسن معاملة الجيران والإحسان إليهم :-قال تعالى-:-

﴿....وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ....﴾ [النساء:٣٦]

- حسن معاملة غير المسلمين مالم يعتدوا ، -قال تعالى-:-

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٨]

- الإحسان إلى اليتيم عملاً بقوله - تعالى-:-

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضُّحى:٩:١٠]

- الدعوة إلى ستر العورة وغض البصر وإخفاء الزينة إلا للأزواج ، -قال تعالى-:-

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ ....﴾ [النور:٣٠:٣١]

- التحذير من الغيبة والنميمة ، - قال تعالى- :-

﴿....وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ....ۚ﴾ [الحُجُرات:١٢]

وقال تعالى :- ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم:١٠:١١]

- النهي عن التجسس والتفاخر، التكبر.

قال تعالى : ﴿....وَلَا تَجَسَّسُوا ....﴾ [الحُجُرات:١٢]

قال تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان:١٨]

obeikandl.com

- النهي عن الإسراف والتبذير والبخل والشح :-

-قال تعالى- ؛

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء:٢٩]

- التحذير من الخيانة والكذب وسوء الظن -قال تعالى-؛-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال:٢٧]

وقال تعالى؛- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ .... ﴾ [الحُجُرات:١٢]

- الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالرحمة ، قال تعالى ؛- ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٤]

وقال تعالى ؛﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ [البلد:١٧]

- التكافل الاجتماعي بين طبقات المجتمع ، والمتمثل في إخراج زكاة المال والزروع والثمار، وبيان مواضع صرفها ، وكذلك الصدقات وبيان مخارجها ومستحقيها ، وهي كلها عظيمة الفائدة إذ تدعم الروابط بين طبقات المجتمع وتشعر الفقير بتضامن الناس معه وحرصهم عليه وتشيع المحبة بين الغني والفقير، وقد وردت آيات كثيرة تحث على إخراج الزكاة والتصدق على الفقراء والمحتاجين وهو في هذا الصدد يبين أن الملكية في الإسلام ملكية استخلاف وأن المال مال الله وهو يعطينا هذا المال لننفقه في وجوه الخير وما يعود بالنفع على من حولنا ، ويسبب لنا السعادة والرضا " فالله هو خالق الكون ومالكه ، والمال ماله ، ولا يملك

صاحبه منه إلا حق الانتفاع به ، فهو عنده وديعة ينفق منه في حدود أوامر الله " [1]

يقول تعالى : ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧ ﴾ [الحديد:٧]

وقد حددت المنهج القرآني مصارف الزكاة ومستحقيها في قوله :

﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧ ﴾ [البقرة:١٧٧]

وقال تعالى في الحث على إخراج الزكاة :

﴿ ... كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١ ﴾ [الأنعام:١٤١]

وليس معنى أن الإسلام دعا الأغنياء ورباهم على البذل والعطاء أن ذلك سيولد طائفة تأنس إلى هذا البذل وتخلوا إلى الراحة وتقنع بالعيش على الزكاة وما يعطى لهم من صدقات فقد حث الإسلام على العمل والسعي ، ويروى عن النبى- ﷺ - أنه رأى رجلاً قد تجرد للعبادة ولزم المسجد ليلاً ونهاراً فسأل : من يعوله وينفق عليه فقيل أخوه ، فقال- عليه السلام - : (إنه أعبد منه) .

إن طبيعة تكوين المجتمع الإسلامي العامل الكادح النشيط لا تسمح بوجود طبقة من الفقراء المحتاجين " فقد دل التطبيق في حالاته السليمة على أن

١- منهج القرآن في التربية ، محمد شديد ص ١٩٦ .

الدولة كانت لا تجد من يستحق الزكاة من المسلمين ولا من أهل الذمة فتضعها في الصالح العام ، وكما أمر القرآن بالعمل واعتبره عبادة ، فقد ربى المسلمين على العزة التي لا تسمح لصاحبها أن يعيش عالة على صدقات الناس ، وليس البذل الذي يعنيه القرآن هو مجرد إعطاء الصدقة للفقير أو السائل – كالمعهود في بعض المجتمعات – ولكن مفهوم تحديده في سبيل الله : أنه للصالح العام ؛ يعطى للدولة الحق أن تنظمه وتضعه في مصارفها التي حددها القرآن "[1]

" ولقد كان الرسول- ﷺ - حريصاً على هذه المعاني ، حتى وصلت تربيته ببعض المسلمين إلى حد أنهم كانوا يرفضون أن يأخذوا حقهم من بيت المال "

وعن حكيم بن حزام قال : " سألت رسول الله – ﷺ - فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ، ثم قال : يا حكيم ، هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق لا أسأل أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يأخذ منه شيئاً . ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى . فقال يا معشر المسلمين أشهدكم[2] على حكيم أنى أعرض عليه حقه الذي قسم الله له في هذا الغيء فيأبى أن يأخذه ولم يأخذ حكيم شيئاً من أحد من الناس حتى توفي " [3]

١- منهج القرآن في التربية . محمد شديد ص ٢٠٠ .
٢- نفسه ص ٢٠٠ .
٣- رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

وفي أمثال هؤلاء الذين لا يظهرون فقرهم للناس حتى يحسبونهم أغنياء غير محتاجين يقول القرآن الكريم :-

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٧٣]

٣- علاقة المجتمع بجيرانه :-

لم يترك المنهج القرآني العلاقة بين المجتمع وجيرانه من المجتمعات الأخرى هكذا بغير نظام ، بل وضع لها الأطر والحدود التي تجعل علاقة الجوار طيبة.

أ- فقد أوجب الحفاظ على سلامة الوطن وأمنه وأن تكون حدوده في أمن من غارات العدو واعتداءاته فدعا إلى الجهاد حفاظاً على البلاد وحمايتها من مؤامرات وكيد الأعداء .

وجعل الجهاد فرضاً على أبناء الوطن ، قال تعالى:-

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج:٧٨]

كما يحث المنهج القرآني المسلمين على الجهاد الحق ، والثبات في مواجهة الأعداء ، يقول تعالى:-

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأحزاب:٢٣:٢٤]

ويدعو إلى الصبر عند لقاء العدو ، قال تعالى :-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

ويدعو-أيضاً- إلى الحذر والانتباه لمكر العدو وخديعته ، يقول تعالى:-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾ [النساء: ٧١]

كما يدعو إلى التسلح بالقوة والاستعداد لملاقاة العدو في أي وقت ، قال تعالى :-

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٠]

ويبين أن القوة ليست في كثرة عدد المحاربين إنما في مدى ثباتهم وصدقهم في القتال ، فقد يكون عدد الجنود قليلاً لكن الشجاعة والثبات وصدق القتال يجعلهم كثيراً في عين عدوهم ، يقول تعالى:-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٥: ٦٦]

والمنهج القرآني الذي فرض الجهاد وأوجبه فقد جعله للدفاع عن النفس والعقيدة ، وليس للاعتداء على الآخرين ، قال تعالى :-

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾ [البقرة: ١٩٠]

ومعلوم أن المسلمون في فتوحاتهم شرقاً وغرباً في مملكتي فارس والروم لم يكونوا معتدين ، إنما كانوا فاتحين منشرون دين الله وكلمة الحق ، وكانوا نبلاء في حروبهم ، فلم يحرقوا زرعاً ، ولم يقتلوا شيخاً ولا طفلاً ولا امرأة عملاً بوصايا النبي - ﷺ - للمحاربين الذين يتشدق الساسة والمصلحون الآن أنها حقوق الإنسان التي وضعتها الأمم المتحدة ، وهي في حقيقة الأمر من وصايا نبينا - ﷺ - أوصى بها منذ أربعة عشر قرناً من الزمان قبل أن تكون هناك أمم متحدة وحتى قبل أن توجد أمريكا نفسها .

نعم كان المحاربون المسلمون فرساناً يحاربون من منطلق الحق وطبيعة الإسلام السمحة ، وقد أثبت التاريخ أن كثيراً من البلاد التي فتحها المسلمون فتحت سلماً ، فلم يكونوا يحاربون الإمَن أصر على القتال ، فإن طلب المسالمة والصلح كانوا يتوقفون عن القتال رغبة في السلم والأمان .

ويثبت التاريخ أن أهل الذمة وأصحاب الأديان الأخرى كانوا يعاملون معاملة طيبة في كنف الحكم الإسلامي .

ب - وفي إطار علاقات الدولة بجيرانها يأمر المنهج القرآني بضبط النفس ، عدم الاعتداء بدافع الكراهية والانتقام ، يقول تعالى :-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة: ٢]

ولا شك أن ضبط النفس في كثير من الأمور الدولية يبعد شبح الحرب والصراع بين الدول والقرآن بذلك يفتح باب التفاوض والحوار واستماع وجهات نظر كل طرف وهذا من شأنه أن يوصل إلى حل يطرأ من مشطلات تجنب الدول كثيراً من الصدام والقتال الذي يهلك الأنفس والثمرات ويؤرث الخصومة بين الدول .

ويجعل الأجيال المتعاقبة تعيش في قلق فتتوقف التنمية ويتعطل الإنتاج ، وهذا بدوره يؤثر في عجلة الحضارة والتقدم .

جـ - الميل إلى السلم إذا مال إليه الجانب الآخر وهذا توجه قرآني يبرز حرص المنهج التربوي على سلامة الشعوب ، إذ يقدم خيار السلم على خيار الحرب والقتال ، يقول الله -سبحانه وتعالى-:-

﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ [محمد:٣٥]

ويقول تعالى :-

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأنفال:٦١]

وفي نفس الإطار يقول عز من قائل محذراً من الخديعة :

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال:٦٢]

د- إقامة العلاقات مع الدول على أساس الوفاء بالعهد والمحافظة على المواثيق .

"وقد قضى القرآن الكريم على فكرة مصلحة الأمة واستباحة الغدر والكذب ونقض العهود بحجة هذه المصلحة ، ذلك بأنه يعتبر الوفاء في ذاته غاية" [(١)]

١- منهج القرآن في التربية ، محمد شديد ص ١٧٠ .

يقول تعالى:-

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [النحل:٩١:٩٢]

فإذا خيفت الخيانة كان الرجوع والإنذار بالحرب ، يقول تعالى :-

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:٥٨]

وقد التزم المسلمون هذا السنن القرآني فكان الوفاء بالعهد شيمتهم ، وأصبحت الخيانة صفة ذميمة يمقتها المسلم أينما كان .

وكان – عليه الصلاة والسلام – في وصاياه للمحاربين الفاتحين بعدم الخيانة والتحذير منها وكان يقول : " اعزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله اعزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا " [١]

"ولما كان معاوية بن أبي سفيان في أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد أراد أن يدنو منهم ، فإذا انقضى العهد غزاهم ، فقال له عمرو بن عنبسة : الله أكبر يا معاوية ، وفاء لا غدر، لقد سمعت رسول الله- ﷺ- يقول : "من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضي أحدها أو ينبذ إليهم على سواء "فرجع معاوية بالجيش "[٢]

١- مسلم وأبو داود والترميذي .
٢- منهج القرآن في التربية ، محمد شديد ص ١٧٥ .